الخطـاب الواصـف
عند "مصطفى ناصف"

أ. تيسوكاي كريمة
جامعة بجاية

إن قراءة **مصطفى ناصف** للنقد العربي القديم تجسيد لتوتّر العلاقة بين الذات العربية وتراثها، علاقة تعبّر عن أزمة تشعر بها الذات لذلك تجدها تبحث لها عن بديل من خلال التراث، تستطيع به الهروب من تبعيّتها للآخر ومواجهته في آن لكي تؤكّد وجودها. وقد تصدق معه مقولة **الجابري** في كتابه "*نحن والتراث*" حين يقول بأنّ القارئ العربي مثقل بحاضره، يطلب السند في تراثه ويقرأ فيه آماله ورغباته[1]، فهو يريد أن يجد فيه كل ما يفتقده في حاضره، سواء على صعيد الحلم أو صعيد الواقع، ولذلك تجده يسابق الكلمات بحثا عن المعنى الذي يستجيب لحاجته، يعيش القارئ العربي تحت ضغط الحاجة إلى مواكبة العصر والعصر يهرب منه إلى مزيد من تأكيد الذات. من أجل ذلك تجده على الرغم من أن التراث يحتويه، يحاول أن يكيّف احتواء التراث له بالشكل الذي يجعله يقرأ فيه ما لم يستطع بعد إنجازه.

وقد يكون الآخر قابعا في الأنا لا خارجها، أي أن مشكلة الهويّة قد تكون بين الأنا وذاتها بقدر ما تكون بينها وبين الغير، وما بين الأنا وذاتها من التعارض هو بنسبة ما بينها وبين الآخر من التشابه. فإذا كانت محاولة تسييج الأنا ثقافيا في مواجهة الغير هي آلية من آليات الدفاع عن الذات، فإنها تشكّل في الوقت نفسه آلية يمارسها خطاب الهوية لحجب هذا الاختلاف الأنطولوجي الذي يخترق كل هوية[2].

إنّ مساءلة التراث النقدي العربي ليس أمرا يسيرا، فكل قراءة للتراث إنما تنطلق من وعي القارئ بذاته، فما دام التراث منسوبا إلى الذات العربية فقراءته تبقى قراءة للذات القارئة نفسها، ويبقى السؤال الذي يحرك فينا الوعي بالتراث وبالتالي بذواتنا هو: كيف نقرأ التراث و بأي منهج؟

وقد آثرنا مقاربة الجانب التلفظي في الخطاب النقدي **لمصطفى ناصف**، وتحديدا من خلال كتابه "النقد العربي نحو نظرية ثانية" بحثا عن قرائن تزيد من تعميق صورة الخطاب النقدي وتستجلي معالمه وحدوده، فقضية تحليل الخطاب تطرح من جهة التلفظ إمكانية متعدّدة وخصبة لفهم الخطاب وآليّات إنتاجه، ورغم أنّ تحليل التلفظ في أيّ خطاب قد يتّخذ صبغة لسانية محضة، فإنّ هذا التحليل يسمح بفتح حدود الخطاب على مجال خارجي هو مجال براجماتي إذ أنّ فعل الكلام ما هو إلاّ إعادة إنتاج لوضع قائم بين الذات المتكلّمة والمتلقي في شروط تسمح بإنجاز فعل الكلام وتداوله[3]، فقد يكون بحث التلفظ بحثا متخصّصا ذا غايات لسانية برجماتية وقد يكون بحثا مساعدا ومجرّد إضاءة لبحث آخر وهو ما نتوخّاه أي أنّنا لا نفصل القول ولن نتتبّع الدقائق والتفاصيل، ولكن سنكتفي بما هو دال ومؤثّر وملائم لما نروم الوصول إليه. فمظاهر التلفظ في الخطاب النقدي **لمصطف ناصف** لا تعنينا في ذاتها، ولكن تهمّنا بما تشير إليه من موقف نقدي.

- شرعية الخطاب الجماعي:

يقيّد الخطاب النقدي الناصفي المتلقي ويمنعه من الجدال، ويكسب الناقد منطق الاستمالة لا الإقناع، ونراه يكشف نفسه بدءا من مستوى التلفظ حين يقدّم لنا صورة ناقد لا يملّ من إسناد أفعال الكلام إلى ضمير الجماعة وإرجاع الخطاب إلى فعل هو إرادة الجماعة ورغبتها ومشاعرها يقول:

- «لقد اغتربنا عن النقد العربي أو بعض فصوله لأننا لم نستطع تقدير أهمية مصطلحات تبدو غريبة، إننا نريد أحيانا أن نعيش في دائرة ضيّقة...»[4].
- «إنّنا نبتهج بالشعر ونرتاب في قرارة عقولنا في أمر الشعر...»[5].

- «النقد العربي مظلوم، ظلمه استعمالنا المستمر لكلمة التشبيه والتصانيف المشهورة التي التقطناها وعبدناها...»[6].

فمصطفى ناصف يحاور متلقيا لإبهاره وإمتاعه واستمالته فيبدأ بالتّماهي معه في ضمير "نحن" مرورا بمخاطبته شخصيا:

- «وأنت إذا اقتطعت البيت على نحو ما صنع عبد القاهر لا تملك– في غالب الأمر -أن تختلف معه»[7].
- **أنظر** فيما تعاور كلمة الشمس من أجواء، وانظر إلى حرص عبد القاهر على أن يتولاها العناية...»[8].

فالناقد حين يخبر بما يجول في نفسه ويعرّي مكامن الذات، يعتقد أنّ الإخبار يكتسب أهمية أكبر إذا ما تموقعت خلف رأي جماعة أو رأي شخص آخر يمثّلها **كعبد القاهر**، ففي تحليله لبيت **المتنبي:**

فليت طالعة الشمسين غائبة وليت غائبة الشمسين لم تغب[9]

يرى أنّ **المتنبي** يحلم بتغيير النظام والسنن المعهود، وما عبّر عنه **عبد القاهر** *بالمجاز* ما هو إلاّ مناوأة العرف الواقع والمسافات المفروضة. وقد آخذ الشرّاح -كما أسماهم -لأنهم لم يروا في هذا البيت غير جعل المرثية وشمس النهار شمسين. لكن العودة إلى «*أسرار البلاغة*»[10] تكشف لنا أنّ **عبد القاهر** نفسه ذهب هذا المذهب، عكس ما ادّعى **مصطفى ناصف** الذي يصر في كل مرّة أنّ **عبد القاهر** إنّما يقصد شيئا آخر وراء ذلك. ثمّ يقول: «**زعم** عبد القاهر أنه يحتفل بالتشبيه والتثنية والتكامل»[11]، وكأنّ الناقد يعرف في قرارة نفسه أنّ **عبد القاهر** لم يذهب مذهبه فيبر ذلك بقوله "زعم". فما الذي كان يمنع **مصطفى ناصف** من أن ينسب آراءه إليه دون أن يدخل **عبد القاهر** في الأمر؟ أكانت تلك وسيلة منه لإعطاء نوعا من الشرعية لحديثه؟ أم هو موقف مضاد من **عبد القاهر** نفسه، وعدم رضا بما يقول فقوّله ما لم يقل؟ أم أنه يكفي **عبد القاهر** استشهاده بهذه الأبيات التي أعجب بها **مصطفى ناصف** وأشبعت رغبته وأفكاره فكانت على المقاس تماما؟

لا يختلف اثنان في مؤسّسية الجهد الجرجاني في الفكر البلاغي العربي وتأثيره فيمن بعده من البلاغيين الذين اجتمعوا على أهمية ما قام به فمنهم من ظلّ وفيّا له ففسّر وشرح ولخّص، ومنهم من انطلق منه على أساس أنه القاعدة التي سيسافر منها إلى عوالم أرحب، يأخذ فيها الموضوع البلاغي حيّزا جديدا للاستثمار بما يناسب القدرات الإبداعية للفكر المعاصر.

لكن رغم أسبقية أفكار **عبد القاهر الجرجاني** فإنها لا تعكس بالضرورة تطابقا مع النظريات الحديثة والمعاصرة، كما يذهب البعض، بل تمثّل الفهم العربي لمختلف القضايا النقدية الخاصة بالنصوص الإبداعية والدينية العربية. ولا يجب اعتبار عدم تجاوب بعض أفكار **الجرجاني** مع الفكر النقدي الحديث والمعاصر انتقاصا من قيمة هذا الباحث الجليل بل كانت اجتهاداته خاضعة لسياق تاريخي خاص يحتكم لفكرة الإعجاز القرآني فنراه يؤكّد على ضرورة ألاّ يثبت الشاعر أمرا «غير ثابت أصلا، ويدّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى»[12]. من أجل ذلك قال بمحدودية التأويل وضرورة مناسبة المعاني لأفهام الجمهور.

- الإحالة:

يأخذ **ناصف** من القدماء ببعض أثر في عبارتهم المأثورة: "*من أسند فقد أوكل*"فنراه يغيّب إحالات الهوامش في كثير من دراساته. يقول ردّا على البنيويين الذين يقصون الكاتب ويقتلونه: «لم يدفع الكتّاب أدبهم إلى المطبعة»[13] ودعوني في هذا المقام أسأله بدوري: ولم يدفع النقاد نقدهم إلى المطبعة؟ أليس لتثبيت أسمائهم عليها والحفاظ على مرجعية أفكارهم؟ لكن ما يلاحظ على الناقد إهماله لضرورة إحالة الأفكار إلى أصحابها فتراه ينسبها إلى نفسه[14]، وقد يقال أن صنيعه ذاك يتم بشكل لاواعي بحكم كثرة قراءاته وسعة إطّلاعه ولكن ذلك ليس مبرّرا في نظري.

وما يثير الاستغراب حقا أن ينظر إلى هذا الخطأ المنهجي للناقد على أنه مزيّة تحسب له، كما فعل ناقد عربي آخر حين قال أن **مصطفى ناصف** «لا يثقل نقده بالمراجع والحواشي أو التمهيد المنهجي أو معاضلة تنسيب الكاتب إلى اتجاه أو مدرسة

أو مذهب معيّن مستعينا بقدر من التعاطف والمحبّة ومتسلّحا برؤية نقدية أو بآلياته التفسيرية الشارحة، تلمّسا لفكرة أبعاد المعنى»[15]، فإذا كان تلقي المناهج الغربية لدى النقاد العرب يثير إشكالا عويصا بتهمة موقفهم الاستهلاكي تجاهها وعدم معرفتهم لأسسها الإبيستيمية فما عسانا نقول في ناقد يتوحّد مع أفكار الآخر ويتماهى معها، وهذا ما يزيد من عمق الأزمة التي يعيشها النقد العربي عندنا ويصنع الفارق بين الفكر النقدي العربي والغربي.

إن عدم إحالة الناقد للأفكار إلى أصحابها، ينقص خطابه ظاهرة "*الاستشهاد*"، هذه الآلية التي «تسهم في رفع ذات المرسل إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوّة سلطوية بالخطاب، عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله، عندها يتبوأ المرسل بخطابه مكانا عليّا، ويستمدّ ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه فقط، وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه»[16]، وقد تتحوّل الإحالة لدى الناقد إلى عائق لابد من التخلّص منه وهذا ما عبّر عنه الناقد في قوله: «لست أخفي على القارئ أني حاولت مرارا أن أجتنب أشواكا غير قليلة وأنا أعتمد على مراجع موثّقة فيما أظن وربما حاولت شيئا من القفز على الأشواك في سبيل إعلاء جوانب مهمّة لأقُل بوضوح إنّني حاولت أن أدعو لما أكتبه»[17].

يظطلع **ناصف** بدور (**الناقد -الداعية**) الذي تحدّث عنه **عبد الإله بلقزيز**" في كتابه "*نهاية الداعية: الممكن والممتنع في أدوار المثقّفين*" ، حيث يرى أنه على الرغم من التحوّل المثير الذي أصاب مكانة المثقّف العربي الحديث ووظيفته فإنه ما يزال يتقمّص دور الداعية، ويسند لنفسه أدوارا تتخطّى قدرته الفعلية على الأداء والإنجاز. ذلك أنه ما يزال أسيرا لصورته عن نفسه التي رسمتها له ظروف لم تعد موجودة. «إنه الوهم: يملك عليه الوعي، ويدفعه إلى تقمّصٍ، هو شكل من أشكال التعويض النفسي. مكابرة لفظية ضدّ الاعتراف بالهزيمة: هزيمة صورة ودورا»[18]، أو ما أسماه الباحث الجزائري **عبد الغني بارة** بـ**الحملة التبشيرية** التي لا تتجاوز الفرضيات وفتح باب

النقاش إلى مطارحة علمية تقدّم مشروعا بديلا[19]، فلا يتعدّ الخطاب الدارس بذلك الأسئلة الاستنكارية دون الولوج إلى أنظمة الخطاب المدروس ليؤسّس لخطاب بديل.

-اللغة الواصفة:

لقد أهمل **مصطفى ناصف** حقّ القارئ في التموضع في نصّه النقدي وفي فقه مراده وتوجّهه، فكان بذلك تلميذا وفيّا لأستاذه "**العقاد**" الذي لا يرضى أن يكون مروحة في أيدي الكسالى النائمين، وغاب عنه أن الناقد ليس "راعيا يعزف في الصحراء، لا يعزف لأحد ولا يهمّه أن يسمع"، إنما هو طرف في عملية تواصلية لا تتم إلاّ بالطرف الآخر وهو القارئ. الذي ينتظر منه خطابا يكسبه معرفة، هذا القارئ الذي لا تنطبق عليه مقولات إنتاج المعنى، والهدبنة، ...التي تشيع عادة في قراءة وتلقي النصوص الإبداعية.

فالفوضى العارمة التي تفشّت في الساحة النقدية والثقافية عموما خلقت خطابا أقل ما يمكن نعته به: "*خطاب الأزمة*"، تغيب عنه معالم المعرفة المؤسّسة، وتتجلى فيه سيادة "*اللغة العمياء*" كما يسميها "**غسّان كنفاني**" حين يقول: «لقد ولدت في المنطقة خلال السنوات العشر الماضية ما نستطيع أن نسميه لغة عمياء(...) لقد باتت الكلمات التي لا قيمة لها –إلاّ إذا كانت معبّرة -لا تعني شيئا على وجه التحديد. إن التعريف لم يعد موجودا، وبات لكل كاتب قاموسه الخاص، يستعمل كلماته على ضوء فهمه الخاص لها وهو فهم غير متّفق عليه، ولذلك فهي لا تعني شيئا. يبدو أننا في حاجة إلى إعادة القيمة للكلمات، كتعاريف محدّدة تعني شيئا متّفقا عليه»[20]، فالنص النقدي غير النص الأدبي وإن كانت قد ظهرت في السنوات الأخيرة نقود تراهن على إبداعية في الطرح، حمل لواءها في الغرب الناقد الفرنسي **"رولان بارت"** الذي يقول في هذا الصّدد بأن قارئ النقد إنما هو « قارئ من درجة ثانية، عليه أن يغيّر موقعه: فبدل أن يقبل كونه موضع ثقة لما أسماه "*اللذة النقدية*" فبوسعه أن يقبل كونه موضع المتلذّذ بالتلصّص عليها، فيتحوّل النص النقدي إلى نص متخيّل موحي»[21]، وقد ظهرت هذه الرؤية أيضا في النقد العربي مع "**عبد الله الغذّامي** و**أدونيس** وغيرهما. لكن لا يجب أن

يفقد ذلك أهم ميسم للنقد وهو *"الوضوح"*، ولا يجب أن يفهم من الوضوح عجزا أو قصورا، وأنّ الجودة لا تتأتّى إلاّ إذا ارتدى النقد لبوس الإلغاز والغموض، فقد يكون الوضوح أصعب منالا من الغموض. فلا يركب صهوة الوضوح إلاّ فارس متمرّس، تملّك المعرفة وروّضها فأضحت لغته واضحة وإن عبّرت عن أفكار معقّدة عكس ما فعله **مصطفى ناصف**، وهو يتحدّث عن عبد **القاهر الجرجاني** إذ يقول: «بحث عبد القاهر عن نزوات هندسية وآثار عقلية رياضية ميتافيزيقية وحنين غريب إلى الشكل العادي من النزعة الذاتية»[22]، فالفكر لا يقبل الإدراك إلا عندما تتم نسبته إلى اللّغة كما يقول "**بنفنيست**" "Benveniste"[23] وحريّ باللغة، والحال كذلك أن تسهّل هذا الإدراك وألاّ تعتّمه.

تحنو لغة **مصطفى ناصف** كثيرا إلى الشعر، ليس فقط في رنين كلماته، بل حتى في قِصر جمله وتقطّع سطوره وكثرة نقاط الوقف(.) عنده. الأمر الذي جعلني أعيد صياغة إحدى فقراته الرنّانة على النحو التالي:

«أحزان كالأفراح...روح قلقة تكاد تدمّر نفسها...
"غرّنا ما يشيع فينا من لفظ التشبيه"
نسينا ما بين الجواشن والدّروع...
والغدير يضرب متنه الريح...
يتكسّر... ويقع فيه شنج معلوم.
"وقعنا في أسر كلمة التشبيه"
نسينا أن الدروع ربما لا تشبه الغدير حقا.
وأن الغدران لا تشبه الدروع...
هذا ظل أهم من الدروع وماء الغدير...»[24].

ما الذي يجعل **مصطفى ناصف** يستخدم هذه اللغة، ويوظّف كلمات لا مزية لها إلاّ إرضاء الشاعرية الموجودة في أعماق كلّ منا، دون أن تزيدنا معرفة ورؤيا في مجال أحوج ما نكون فيه إلى العلمية والمنهجية والوضوح؟

لعل اللغة الواصفة لدى الناقد صورة للشاعرية العربية التقليدية والفكر الغنائي المتوارث من الأجداد، والذي ساهم في تكوين شخصيته النقدية إسهاما كبيرا، فقد رضع **ناصف** من البلاغة العربية القديمة حتى الفطام، يقول: "إذا عنونت لشيء فقد اتّهمته". فهو يعتبر ضبط الدلالات وتحديد المفاهيم جنحة يعاقب عليها، وهذه دعوة صارخة إلى اللاتحديد، وقد مارس قاعدته تلك بأمانة فلا نكاد نلمح تعريفا علميا في كثير من كتبه حيث يكتفي باستعراض شعارات وشكاوى احتلّت المساحة الواسعة. وهذه طائفة منها:

- « البلاغة دراما النقد العربي»[25].
- «البلاغة نقد ثقافي»[26].
- «البلاغة تاريخ الكبرياء والمواجهة»[27].
- «البلاغة العربية وجوه وغرائب»[28].
- «التشبيه نمط من العنف المبارك»[29]
- «الاستعارة مغامرة كبرى»[30]
- «الاستعارة عمق مشتهى»[31]
- «عبارة "رأيت أسدا " أضحت ملساء هيّنة»[32].

ينتبه **ناصف** إلى كثير من القضايا النقدية المهمّة في التراث النقدي العربي إلاّ أنه يعرضها بسرعة ويتركها دون الخوض فيها والتوسّع في تحليلها، وفي بعض الأحيان يقدّم الباحث تحاليل شاعرية ويبتعد عن الخوض فيها بطريقة علمية.

يملك **مصطفى ناصف** قاموسا خاصا به، يوظّف كلماته كما يشاء ولا يراعي في كثير من الأحيان كون تلك الكلمات قد اتّفق في تحديد معانيها، وأنها شحنت بدلالة مفهوماتية ومصطلحية خاصة، وبتصوّرات فلسفية مما يجعلها تنطوي تحت فلسفة خاصة أو مذهب معيّن.

يوظف الناقد الأدبي عموما لغة اصطلاحية تقوم على تسمية التصوّرات الفكرية وضبطها في إطار معرفي معيّن تمكّنه من السيطرة على موضوعه، وإنجاز

عمليات الفهم والوصف. "فإن كانت كل معرفة لا تقوم إلاّ بوجود مفاهيم" فإن النقد بدوره لا يتمكّن من تشغيل المعرفة وتوظيفها نظريا وإجرائيا إلاّ بامتلاك تلك المفاهيم والقدرة على تسميّتها: فالمفهوم إذن عند الاصطلاح عليه ليس مجرّد عنصر نظري بل هو أداة ومفاتيح إجراء[33].

- تلقي النصوص:

يقوم **مصطفى ناصف** بقراءة مزدوجة الهدف، فهو يقرأ النص النقدي وفي الوقت نفسه ينجز قراءته الخاصة للنص الأدبي المنقود. فالتأويل عنده خاضع لقيود عاصمة من الهذيان واللغو. من هنا فهو يسلك مسلكا وسطا في محاولة استجلائه للمعنى الخفي في نصوص القدماء، إذ يتوسّط طرفين متضادين: التأويل اللامتناهي والتأويل الحرفي فينطلق من تغيّرات التأويل الخاضع لإلزامات عصر المؤلف والسياق الذي يعيش فيه، كما يحاول كشف طبيعة المؤثرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي كوّنت الحاضنة السياقية للمفاهيم النظرية النقدية، أي يحدّد طبيعة السياقات المضمرة الذاتية والنفسية والثقافية التي جعلت **عبد القاهر** يتبنى منهجا نقديا معيّنا دون سواه.

يتفاعل **مصطفى ناصف** مع نصوص الشعراء فيثار لديه ردّ فعل مبدئي أي أنه يعيش بإزائها ردّ فعل مندهش، ثم يتبعه بزمن ثان للتلقي يسعى من خلاله تبرير ردّة فعله الأولى وبلورتها. وذلك بأن يدخل للإبداع الذي يتلقّاه معطيات جديدة فيتأمّل في ضوئها استجابة النص، ثم يبرز ردود أفعال أخرى تصير بمثابة معطيات جديدة:

- الفعل الأوّلي (الدهشة)
- تبرير الدهشة.

يحاول الناقد باستمرار تفجير طاقة النص، ذلك أن النص الفني يتميّز بطاقة جمالية كامنة فيه، هي مصدر الدهشة الأولى، ثم سرعان ما تتبلور وتتبني لتصبح فعلا تستجيب له هذه الطاقة في شكل ردّ فعل يصبح هو بدوره فعلا. فيخرج الناقد من حدود الدهشة التي كثيرا ما تكون استجابة سلبية، إلى اغتناء ما أي الانتقال من زمن التلقي الأول إلى زمن آخر يشهد بأننا فعلا بإزاء نص إبداعي ذي قيمة جمالية تستحق

منا الكشف والتفاعل. لكن هذا التبرير يظل جزئيا منصهرا ضد المعطيات الأولية للتلقي، يثير القضايا الشائكة أكثر من أن يجد لها الحلول المقنعة. فالناقد يطرح المشاكل الكلية، ليتناولها تناولا جزئيا. وقد يغلب تبرير الدهشة على قراءة النص.

إن الإجراء النقدي هو وضع معرفة (المفاهيم والتصوّرات) موضع التطبيق بحيث يصبح الخطاب المجسّد لها مجرّد تعليق لغوي نظري على نص سابق، وعلاقة تتجسّد من خلال عمليات جرت العادة على تسميّتها بالمنهج، وهو مجموعة عمليات ومسالك تهدف إلى وصف النص ومعرفته وتقويمه، وتتوسّل بعدد من الآليات التي تتضافر وتتساند من أجل تحقيق تلك العلاقة وتخصيصها[34]، أمّا الناقد فإنّه يقوم بالنظر إلى الأثر في مجمله من خلال قراءة الدهشة تلك ويحكم عليه برأي جزئي مستخلص من بيت واحد أو مجموعة أبيات ثم يجعل من هذا الرأي مقياسا عاما وشاملا لكل البلاغة العربية.

إن الظاهرة اللافتة للانتباه في خطاب **مصطفى ناصف** هي إصراره على أن يكون خطاب توازن بين النظام والتجربة، لذلك يصرّ على كونه خطابا نابعا من أريحية الذات وكأني به يرافع على عدم التزامه بإجراء محدّد وغير خاضع لمنهجية صارمة فيغطّي إجراءاته بلبوس دعائي، يجعله يستثمر المعرفة بأكبر قدر من الحريّة. ولسنا نتحدّث هنا عن مثلبة بالضرورة، فلمثل هذا الخطاب معقوليته الخاصة التي تجعل صاحبها غير عابئ بمواضعات الإجراء الأكاديمي في الاستقصاء واستخراج النتائج من المقدمات، فهو يقصد مراده من أقصر طريق، مكثّفا نصوصه، تاركا القارئ لفجوات نصّه بإشكالياتها وتحدّياتها وأسئلتها المتكاثرة.

كانت هذه بعض اللمحات التي ألمنا بها عن **مصطفى ناصف** بسبيل إعطاء صورة عن منطقه الواصف في خطابه النقدي من خلال كتابه "النقد العربي نحو نظرية ثانية" وإن كان الأمر يقتضي الإفراد والتفصيل.

انطلق الناقد في نقده من وعي ثقافي بالأدب والنقد والمجتمع ما جعله يخلص إلى كون البلاغة قد نشأت ونمت حول ردود الأفعال تجاه الفكر وسلطان الثقافة، وحول

اعتراف البلاغيين القدامى بوجود الدلالة الضمنية في النصوص، ولكن ظلّ المبدأ الأول كالسيف الذي يمكن أن يساء استعماله، من أجل ذلك كلّه كان التعرّض لفكرة البلاغة ينتهي آخر الأمر إلى أسئلة عن الشخصية الإسلامية في مواجهة الثقافة.

من أجل ذلك سعى الناقد إلى تناول موضوعات تتعلّق بالبلاغة العربية وعلاقتها بالسلطة، ويبحث في مدى تأثير تلك العلاقة على التنظير النقدي البلاغي من خلال فهم الثقافة وتحليل السياق الاجتماعي والسياسي، ورصد العلاقة بين النقد والثقافة من خلال توضيح القلق الجماعي الكامن في الشواهد والمصطلحات التي تملأ الكتب البلاغية العربية، إيمانا منه أن العقل العربي يوحي بأكثر مما يطفو على السطح.

بحث الناقد عن نظرية ثانية للنقد العربي القديم متوسّلا التأويل الثقافي، لكن الملاحظ أن هذه النظرية المزعومة قد غابت عن دراسته ولم يفعل غير دعوته لنا لنظرة ثانية لتراثنا النقدي، فمنطوق خطابه يريد تحرّرا ولكن ما يسكت عنه الخطاب أنه يريد سيطرة، ولهذا ليست المسألة مسألة تأسيس أو تحرير بقدر ما هي مسألة توظيف وتأويل واحتواء. فيدّعي أنه يؤسّس لنظرية ثانية فيما يقوم في الحقيقة بقراءة للتراث النقدي العربي باستثماره لمفاهيم متداولة (مركزية)، ولعلّها تتحوّل يوما إلى فعّل!..

الإحـالات

1 - ينظر: محمد عابد الجابري، **نحن والتراث** قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ط6، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص12.

2 - ينظر: علي حرب، **نقد النص**، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص53.

3 - ينظر: محمد الدغمومي، **نقد الرواية والقصّة القصيرة بالمغرب (مرحلة التأسيس)**، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2006، ص286.

4 - مصطفى ناصف، **النقد العربي نحو نظرية ثانية**، ص9.

5 - م ن، ص76.

6 - نفسه، ص39.

7 - مصطفى ناصف، **النقد العربي نحو نظرية ثانية**، ص108.

8 - م ن، ص163.

9 - نفسه ، ص100 -101.

10 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص296.

11 - م ن، ص101.

12 - عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص 137 .

13 - مصطفى ناصف، **اللغة والتفسير والتواصل**، ص13.

14 -فإن كان **ناصف** قد همّش مسألة التهميش وإحالة الأفكار إلى صاحبها فإنّ ناقدا آخر جعلها عنصرا من عناصر إنتاج المعرفة ونقصد به ""**جيرار جنيت" في كتابه "عتبات"**.

15 - عبد الله أبو هيف، **النقد الأدبي العربي الجديد في القصّة والرواية والسرد**، منشورات اتحاد كتّاب العرب، ص5.

16 - محمد الدغمومي، **نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب**، ص537.

17 - مصطفى ناصف، **نظرية التأويل**، ص7.

18 - حسن البنا عز الدين، **"البعد الثقافي في نقد الأدب العربي(1975 -2000م)**، فصول، مجلة النقد الأدبي (علمية محكمة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد63، شتاء -ربيع، 2004، ص149.

19 - ينظر: عبد الغني بارة، **الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص553.

20 - صبري حافظ، "**قرن الخطاب النقدي والنظرية الأدبية، أو مسيرة النقد من التقطع إلى الاستمرارية**"، الكلمة (ماي 2007) الموقع:
http//www.al-kalima.com/2007/may/default.html/<14<Juin2007

21 - رولان بارت، **لذّة النص**، تر: محمد رفرافي ومحمّد خير بقاعي، مجلة العرب والفكر العربي، العدد 10، الإنماء القومي، سوريا، 1990، ص13.

22 - مصطفى ناصف، **النقد العربي نحو نظرية ثانية**، ص99.

23 -Voir Benveniste Emile, Problèmes de linguistique général, Gallimard, Paris, 1966, P 64.

24 - مصطفى ناصف، **النقد العربي نحو نظرية ثانية**، ص99.

25 - م ن ، ص2.

26 - نفسه، ص53.

27 - نفسه، ص51.

28 - مصطفى ناصف، **النقد العربي نحو نظرية ثانية**، ص54.

29 - م ن ، ص54.

30 - نفسه، ص201.

31 - نفسه، الصفحة نفسها.

32 - نقسه، ص197.

33 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، 2003، ص174.

34 - محمد الدغمومي، **نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب**، ص210.